رائية ابن أبي ربيعة

لقد بحثنا لنعرف فيمن قيلت هذه القصيدة ، ولكننا لم نصل بعد إلا إلى فروض بعضها يشبه اليقين . فمن الممكن أن تكون قيلت فى عائشة بنت طلحة كما أشرنا إلى ذلك من قبل ؛ فقد سهرت ليلة لهمٍّ ألم بها فقالت : إن ابن أبي ربيعة لجاهل بليلتى هذه حيث يقول :

وأعجبها من عيشها ظلُّ غرفة ... وريّان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفاها كل شيء يهمها ... فليست لشيء آخر الليل تسهر

وقد قلنا إنه لو لم يعنها بهذه الاشارة لما رجّعتها حين قهرها الحزن فى هَدْأة الليل .

ولكن أستاذنا الدكتور طه يرى أنها إنما تمثلت بهذا الشعر لا أكثر ولا أقل . وفى الحق أن ما فى القصيدة من الحوادث يُبعد أن تكون قيلت فى عائشة بنت طلحة ، وان لم يبعد أن يكون الشاعر عناها ببعض أطراف الحديث ، فقد نهاه قومها عن ذكرها فى شعره وحمله وعيدهم على الاكتفاء بالتلميح

وقد ذكر صاحب الأغانى أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله

ابن عباس شعره فى الثريا ، فاما عدنا إلى حديث عمر مع ابن عباس وجدناه لم ينشده إلا قصيدتين : أولاهما داليته :

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غدٍ أبعدُ

وأخراهما رائيته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكرِ غداة غد أم رائح فمهجّرِ

أما الدالية فقد ذكر أنه قالها فى فاطمة بنت محمد بن الأشعث الكندية ، ولم يقل فيمن قال الرائية : أفنحسبه قالها فى الثريا ؟ المقدمات ترجح ذلك ، ولكنها لا تفيد اليقين .

وقد نص صاحب الأغانى فى الجزء الرابع [1] أنه قالها فى امرأة من قريش يقال لها نُعم كان كثيراً لذكرها فى شعره ، وكانت تكنى أم بكر وهي من بنى جُمح . ويؤيد هذا أن الشاعر ذكر نُعْما هذه فى القصيدة ، وان لم يبعد أن يكون عَنَى غيرها فى أثناء القصيد

* * *

وقد حاولنا التثبت من نعم التى قيلت فيها هذه الرائية فلم نجد غير أخبار مقتضبة : منها أن ابن أبى ربيعة وابن أبى عتيق كانا جالسين

(١) ص ٣٦ طبع بولاق

بفِناء الكعبة فمرت بهما امرأة من آل أبي سفيان فدعا عمر بكتاب فكتب اليها وكنى عن اسمها

ألِمَّا بذات الخال فاستطلعا لنا ... على العهد باقٍ ودها أم تصرَّما

وقولا لها إن النوى أجنبيَّةٌ ... بنا وبكم قد خفت أن تتيمَّما (١)

فقال له ابن أبي عتيق : سبحان الله ! ماتريد إلى امرأة مسلمة مُحرِمة أن تكتب إليها مثل هذا ! قال : فكيف بما قد سيَّرته في الناس من قولي :

لقد حبَّبت نعمٌ إلينا بوجهها ... مساكن مابين الوتائر والنَّقْع (٢)

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي ... أكلِّفها سير الكَلال مع الظلع (٣)

من أجل ذات الخال يوم لقيتها ... بمندفع الأخباب أخضلني دمعي (٤)

من أجل ذات الخال آلف منزلاً ... أحل به لا ذا صديق ولا زرع

أجنبية : معصية صعبة المراس (٢) الوتائر : موضع بين مكة والطائف ــ والنقع : جمع قرب مكة في جنبات الطائف ، ذكره العرجي اذ يقول :

لحيني والبلاء لقيت ظهرا ... بأعلى النقع أخت بني تميم

فلما أن رأت عيناي منها ... أسيل الخد من خلق عميم

حنى أترابها دوني عليها ... حنو العائدات على السقيم

(٣) الكلال : الاعياء ــ الظلع : الغمز في المشي أو هو العرج (٤) الأخباب : موضع قرب مكة ، وقيل بلد بجنب السوارقية من ديار بني سليم ــ وأخضله الدمع : بلله

ومن أجل ذات الخال عدت كأنني مخامر داءٍ داخل أو أخو ربع[1]

ألما بذات الخال ان مقامها لدى الباب زاد القلب صدعا على صدع

وأخرى لدى البيت العتيق نظرتها اليها تمشت فى عظامى وفى سمعى

وحدث مصعب بن عبد الله أن عمر وافقها وهى تستلم الركن ، فقرب منها ، فلما رأته تأخرت وبعثت إليه جاريتها فقالت له : تقول لك ابنة عمك : إن هذا مقام لابد منه كما ترى ، وأنا أعلم انك ستقول فى موقفنا هذا ، فلا تقولنّ هُجرا[2] . فأرسل إليها : لست أقول إلاّ خيراً . ثم تعرّض لها وهى ترمى الجمار فأعرضت عنه واستترت فقال :

دِين هذا القلب من نُعم بسقامٍ ليس كالسُّقْمِ

إن نُعما أقصدت رجلاً آمناً بالخيف إذ ترمى

وحدث مصعب أيضاً أنه قيل لعمر بن أبى ربيعة : ما أحب شىء أصبتَه إليك ؟ قال : بينا أنا فى منزلى ذات ليلة إذ طرقنى رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول : انه قد وقعت عندنا أثواب مما يشبهك وقد بعثت بها إليك وبدنانير ومسك وطيب وبغلة . قال : فاذا

(١) خامره الداء لازمه ـ والربع بالكسر الحمى تأخذ يوما وتدع يومين ثم تجىء فى اليوم الرابع (٢) الهجر بالضم الفحش . ويقال : من أكثر أهجر ، أى نطق بالهجر ـ ورماه بالهاجرات والمهجرات : بالفواحش والهاجرات : الكلمات التى فيها فحش

بثياب من وشى وخزّ العراق لم أر مثلها قط ، واربعمائة دينار ومسك وطيب كثير وبغلة ، فلما أصبحت لبست بعض تلك الثياب ، وتطيبت ، وأحرزت الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لاهمّ لى قد أحرزت نفقة سنتى ، فما أفدت فائدة كانت أحبّ إلىّ منها ، وقلت فى ذلك :

ألا أرسلت نعمٌ إلينا أن ائتنا ... فأحببْ بها من مُرسل متعصّب (١)
فأرسلتُ أن لا أستطيع فأرسلت ... تؤكّد أيمان الحبيب المؤنّب
فقلت لجنّادٍ خذ السيف واشتمل ... عليه بحزم وانظر الشمس تغرب
وأسْرج لىَ الدّهماء واعْجل بمطرى
ولا يعلمن خَلقٌ من الناس مذهبي (٢)
وموعدنا البطحاء أو بطن يأجج
أو الشِّعب ذو المسروح من بطن مغرب (٣)
التقينا سلمت وتبسمت ... وقالت مقال المعرض المتجنّب
أجل واش كاشح بنميمة ... مشى بيننا صدقته لم تكذّب

(١) المتعصب : الذى شد العصابة وتقنع (٢) الدهماء : يريد بها الفرس . من الدهمة وهي السواد ــ والممطر والمطرة بكسرهما ثوب صوف يتوقى به من المطر (٣) البطحاء فى الاصل المسيل الواسع فيه دقاق الحصى ، وهو اسم لعدة مواضع منها بطحاء مكة ــ يأجج : مكان على ثمانية أميال من مكة

قطعت حبال الوصل منا ومن يطع بذى وده قول المحرِّش يعتب (١)
فبات وسادى ثنيَ كفٍّ مخضَّبٍ معاودَ عذب لم يكدَّر بمشرب
إذا ملت مالت كالكثيب رخيمةً منعَّمةً حُسّانة المتجلْبَبِ (٢)

وحدث أيضاً أن عمر بن أبى ربيعة بلغه أن نُعما اغتسلت فى غدير فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضب . ولعل هذا الحديث من أظرف ما صاغ الخيال !

وقد روى أنها استقبلت عمر فى المسجد الحرام وفى يدها خَلوق من خلوق المسجد (٣) فمسحت به ثوبه ومضت وهي تضحك ، فقال :

أدخل الله ربُّ موسى وعيسى جنة الخلد من ملانى خَلوقا
مسحته من كفها فى قميصى حين طافت بالبيت مسحاً رفيقا
غضبتْ ان نظرتُ نحو نساءٍ ليس يعرفننى ولكن طريقا
وأرى بينها وبين نساءٍ كنت أهذى بهن بَوناً سحيقا (٤)

ومن جيد شعره فى نعم هذه الأبيات

أيها القلب لا أراك تُفيقُ طالما قد تعلقتك العَلوق

(١) المحرش : المحرض على الفساد (٢) الحسانة بالضم الجميلة
(٣) الخلوق : ضرب من الطيب (٤) بون سحيق : فرق بعيد

هل لك اليوم إن نأت أمُّ بكر وتولّت إلى عزاءٍ طريقُ
من يكن من هَوَى حبيبٍ قريباً
فأنا النازح البعيد السحيقُ[1]
قَدَّر الحب بيننا فالتقينا وكلانا إلى اللقاء مشوق
فالتقينا ولم نخف مالقينا ليلة الخيف والمنى قد تسوق
وجرى بيننا فجدَّد وصلاً حُوَّلٌ قُلَّب اللسان رفيق
لا تظنى أن التراسل والبذ لَ لكل النساء عندى يليق
إن منهن للكرامة أهلا والذى بينهن بَوْنٌ سحيق

* * *

أسلفنا أن عمر أنشد ابن عباس رائيته ، فلنذكر ما رواه صاحب الأغانى فى ذلك ، قال :

بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين مورَّدين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا فأنشده .

(١) ذكر صاحب الاغانى أن هذا البيت ليس من شعر عمر بل أضافه المغنون

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجّر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الازرق فقال : الله يا ابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مُترَف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسَرُ

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشىّ فيخصَر

فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت ! قال : أجل ! وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها . قال : فاني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها — ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة فقال : إنا نستجيدها .

وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المغيرىُّ شيئاً بعدنا ؟[1]

(١) حديث عمر مع ابن عباس روى من طرق مختلفة وعلى صور متعددة ، وما أثبتناه هو أوضح صور ذلك الحديث

ولم يقف أثر هذه القصيدة عند إعجاب ابن عباس ، فقد أنشدها عمر طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى وهو راكب فوقف وما زال شانقاً بغلته حتى كُتبت له . وكان جرير إذا أنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعر تهامىٌّ إذا انجد وجد البرد ، حتى أنشد أبياتاً من هذه القصيدة فقال : ما زال هذا القرشى يهذى حتى قال الشعر .

وقال الرشيد للأصمعى : أنشدنى أحسن ما قيل فى رجل قد لوّحه السفر ، فأنشده :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشىِّ فيخصرُ
أخاسفر جوّاب أرض تقاذفت به فلَوات فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية رحلهُ سوى ما نفى عنه الرداء المحبَّر

فقال الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . وكان هذا بعقب قدومه من بلاد الروم . فهذا دليل على أن أولئك الرجال كانوا يرون أنفسهم وحوادثهم مصورة فى هذه القصيدة

وكان ابن أبى ربيعة نفسه يراها من خير شعره ، فقد حجّ فى سنة من السنين ، فلما انصرف من الحج لقى الوليد بن عبد الملك وقد فُرش له فى ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه فسلم عليه ، وجلس إليه ، فقال له

أنشدنى شيئاً من شعرك . فقال يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولى غلامان هما عندى بمنزلة الولد ، وهما يرويان كل ماقلت وهما لك ، قال : إئتنى بهما . ففعل . فأنشداه هذه الرائية ، فطرب الوليد واهتز لذلك ، ولم يزالا ينشدانه حتى قام ، فأجزل صلته ورد الغلامين إليه

ونحسب أن ما أسلفناه يكفى للتمهيد لهذه القصيدة ، فلنقدمها للقارىء مصحوبة بالشرح والتفسير — قال :

أمن آل نُعْم أنت غاد فمبكر غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجّرُ (١)
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها فتُبلغ عذراً والمقالة تُعذرُ (٢)
تهيم إلى نعم فلا الشمل جامعٌ
ولا الحبل موصول ولا القلب مُقصر
ولا قرب نُعْم إن دنت لك نافع ولا نأيها يُسْلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نعم ومثلُها نهى ذا النهى لو ترعوى أو تفكّر (٣)

(١) غاد فمبكر : من الغدوة والبكرة وهما الوقت بين ظهور الفجر وطلوع الشمس . وفي القاموس : بكر عليه واليه وفيه بكوراً ، وبكّر ، وابتكر وأبكر ، وباكره : أتاه بكرة . وكل من بادر إلى شيء فقد أبكر اليه فى أى وقت كان — والرائح : الذى يسير في الرواح وهو العشى أو من الزوال الى الليل . والمهجر الذى يسير في الهاجرة وهي شدة الحر (٢) تعذر : تظهر العذر (٣) النهى بالضم العقل ، ويكون جمع نهية بالضم أيضاً وهي العقل — وارعوى الرجل أقصر عن غيه

إذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة ... لها كلما لاقيتها يتنمّرُ (١)

عزيزٌ عليه أن أُلِمَّ ببيتها ... يُسرُّ لى الشحناء والبغض مظهر (٢)

أَلِكْنى إليها بالسلام فانه ... يُشهَّر إلمامى بها وينكّر (٣)

بآية ما قالت غداة لقيتها ... بمدفع أكنانٍ أهذا المشهَّر (٤)

أشارت بمدراها وقالت لأختها ... أهذا المغيرىُّ الذى كان يُذكر (٥)

أهذا الذى أطريتِ نعتاً فلم أكن ... وعيشك أنساه إلى يوم أُقبَرُ (٦)

فقالت نعم لاشكَّ غيَّرَ لونَهُ ... سُرَى الليل يحيى نصه والتهجّرُ (٧)

لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والانسان قد يتغيّرُ

(١) يتنمر : يغضب ويثور ، والفعل فى الأصل مأخوذ من التشبه بالنمر لانه لايلقى الا متنكرا غضبان (٢) ألم ببيتها : أنزل به أو أمر عليه ـ والشحناء : العداوة ، وشاحنه : باغضه

(٣) ألكنى اليها : احمل اليها ألوكتى ومألكتى وهي الرسالة ـ ويشهر : يذاع ، يقال شُهر بكذا واشتهر به واشتُهِر وشهره وشهَّره فهو مشهور وشهير ومشهر

(٤) مدفع اكنان : اسم موضع والمدفع فى الاصل مجرى الماء حيث يندفع السيل ويجمع على مدافع ، ومنه مدافع الريان في قول لبيد

فمدافع الريان عرى رسمها ... خلقاً كما ضمن الوحى سلامها

(٥) هكذا روى صاحب الاغانى الشطر الاول من هذا البيت وفي الديوان « قفى فانظرى أسماء هل تعرفينه » والظاهر أن رواية الاغانى اصح اذ عرفها المتقدمون كذلك حيث قال جميز : امرأته طالق ان كانت أشارت اليه بمدراها الا لتفقأ بها عينه الخ (٦) الاطراء : حسن الثناء ، والنعت : الوصف (٧) نص السرى : اسراعه ـ والتهجر : السير في الهاجرة وهي شدة الحر

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضتْ
فيضْحَى وأَما بالعشيِّ فيخصَر (١)

أخا سفر جوّاب أرض تقاذفت به فلواتٌ فهو أشعث أغبر (٢)
قليلٌ على ظهر المطية ظلُّهُ سوى مانفى عنه الرداء المحبَّر (٣)
وأعجبها من عيشها ظل غُرفةٍ وريّان ملتف الجدائق أخضر
ووَالٍ كفاها كل شيء يهمها فليست لشيء آخرَ الليل تسهر

* * *

وليلة ذي دَوران جشّمتني السُّرَى وقد يجشَم الهول المحب المغرَّرُ (٤)
فبت رقيباً للرفاق على شفاً أحاذر منهم من يطوف وأنظر (٥)
إليهم متى يستمكن النوم منهمُ ولي مجلسٌ لولا اللُّبانة أوعر (٦)
وباتت قلوصي بالعَراء ورحلها لطارق ليل أو لمن جاء مُعوِر (٧)

(١) يضحى : تصيبه الشمس ــ ويخصر : يصيبه الخصر بالتحريك وهو البرد
(٢) جواب ارض : من الجوب وهو القطع ــ والفلوات جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة
(٣) المحبر : المحسن الجميل (٤) ذو دوران بفتح فسكون موضع بين قديد والجحفة والتجشيم التكليف (٥) على شفا : على حذر (٦) اللبانة : الحاجة ــ والاوعر : من الوعورة وهي الخشونة (٧) القلوص : الناقة الفتية ــ والعراء : الفضاء ــ ومعور : ظاهر يقال : أعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب

وبت أناجي النفس أين خباؤها ... وكيف لما آتي من الأمر مصدر (١)

فدلّ عليها القلبَ ريّا عرفتها ... لها وهوى النفس الذي كاد يظهر (٢)

فلما فقدت الصوت منهم وأُطفئت ... مصابيحُ شبّتْ بالعشاء وأُنؤر (٣)

وغاب قُمير كنت أهوى غُيوبه ... وروّح رُعيانٌ ونوّم سُمّر (٤)

وخُفّضَ عني الصوت أقبلت مشية الـ ... ـحُباب وشخصي خشية الحيّ أزور (٥)

فجئت إذ فاجأتها فتولّتْ ... وكادت بمخفوض التحية تجهر (٦)

وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤٌ ميسور أمرك أعسر (٧)

أريتك إذ هُنّا عليك ألم تخف ... وقيت وحولي من عدوك حُضّر

فوالله ما أدري أتعجيل حاجةٍ ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... إليك وما نفسٌ من الناس تشعر

(١) المصدر يقابل المورد، وموارد الامور : طرق الاقبال عليها . ومصادرها مسالك الانصراف عنها . والشاعر يذكر كيف بات حيران لايدري كيف يصدر اذا قدر له الورود (٢) الريا : هي الريح البالغة التي رويت من الطيب . قال المتلمس :

فلو أن محموما بخير مدنفا ... تنشق رياها لأقلع صالبه

(٣) انؤر : جمع نار (٣) روح الرعيان عادوا الى بيوتهم — ونوم : نام، والتضعيف للتعدية، ومثله قول ابن مقبل

ثم نومن ونمنا ساعة ... خشع الطرف سجودا في الخطم

(٤) والسمر : الذين يتحدثون بالليل (٥) الحباب كغراب الحية — وازور : مائل (٦) تولت : قهرها الحزن (٧) تريد أن يسره عسر اذ كان هدفا للرقباء

فقالت وقد لانت وأفرخَ روعها ... كَلاَكَ بحفظٍ ربك المتكبّر (١)
فأنت أبا الخطاب غير مُدافَعٍ ... على أميرٌ ما مكثت مُؤَمَّرُ
فيالكَ من ليل تقاصر طولهُ ... وما كان ليلى قبل ذلك يقْصُرُ
ويالكَ من ملهًى هناك ومجلسٍ ... لنا لم يكدره علينا مكدِّرُ
يَمُجُّ ذكيَّ المسك منها مفلّجٌ ... نقيُّ الثنايا ذو غُرُوبٍ مؤشّرُ (٢)
تراه إذا ما افترَّ عنه كأنهُ ... حَصَى بَرَدٍ أوأُقحوان منوّرُ (٣)
وترنو بعينيها إليّ كما رنا ... إلى ظبية وسْط الخميلة جُؤذَرُ (٤)

فلما تقضّى الليل إلا أقلّهُ ... وكادت توالى نجمه تتغوّرُ (٥)
أشارت بأن الحيّ قد حان منهمُ ... هُبُوبٌ ولكن مَوْعِدٌ لكَ عزْوَرُ (٦)

(١) أفرخ روعها: هدأ قلبها ، والروع بالضم القلب ، وفي أساس البلاغة للزمخشري « أفرخ روعك : أى خلا قلبك من الهم خلو البيضة من الفرخ . قال :

وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة ... من الروع أفرخ أكثر الروع باطله

وهذا ظاهر وأما أفرخ روعك فيمن رواه بالفتح فوجهه أن يريد زوال مايتوقعه المرتاع واذا زال ذلك انقلب الروع أمنا »

(٢) مسك ذكى: ساطع الرائحة ــ وثغر مفلج وأفلج من الفلج بالتحريك وهو تباعد مابين الاسنان ــ وغرب الثغر ماؤه وريقه ــ ومؤشر : فيه أشر وهو حسنه وتحزيز أطرافه (٣) الاقحوان : زهر أبيض تشبه به الاسنان (٤) ترنو : تنظر في رقة وتكسر ــ والخميلة : الموضع الكثير الشجر ــ والجؤذر : هوولد الظبية والبقرة الوحشية (٥) تتغور : تغيب (٦) عزور: ثنية بين مكة والمدينة ، وقيل : جبل مقابل رضوى. وقد ورد ذكره فى رائية له أخرى اذ يقول :

فما راعنى إلا مُنادٍ ترحَّلُوا
وقد لاح معروفٌ من الصبح أشقر (١)

فلما رأت من قد تنبّه منهمُ وأيقاظَهم قالت أشِرْ كيف تأمر
فقلت أُباديهم فامّا أفُوتُهم وإما ينال السيّف ثأراً فيثأر (٢)
فقالت أتحقيقاً لما قال كاشحٌ علينا وتصديقاً لما كان يُؤْثَر (٣)
فان كان مالا بد منه فغيرُهُ من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقصُّ على اختىَّ بدء حديثنا وما لىَ مِن أن تعلما مُتأَخَّر (٤)
لعلهما أن تطلبا لك مخرجا وان ترحُبا سَرْبا بما كنت أَحْصَر (٥)
فقامت كئيباً ليس فى وجهها دمٌ من الحزن تذرى عبرةً تتحدَّرُ (٦)
فقامت إليها حُرتان عليهما كساءآن من خزٍّ دِمقسٌ وأخضر (٧)

فلما أضاء الفجر عنا بدا لنا ذرى النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اعتزل زل الطريق فاننا متى نر تعرفنا العيون فنشهر

(١) الأشقر هو الذى تعلو بياضه حمرة (٢) أباديهم : أجاهرهم بالعدوان
(٣) الكاشح : المبغض ـ يؤثر : ينقل ، ومنه الحديث المأثور (٤) متأخر : تأخر ، فهو مصدر جاء على وزن اسم المفعول . قال دعبل

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم

(٥) السرب بالفتح الطريق ، ومنه أطلق الاسير وخلا سربه ـ وأحصر : من الحصر وهو الضيق ، والمراد من رحب السرب هنا سعة الحيلة في العمل للخلاص (٦) كئيب : من الكآبة وهى الحزن (٧) الدمقس : الديباج

فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائراً والأمر للأمر يقدرُ
وأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا ... أقلّي علينك اللوم فاطلب أيسرُ
يقوم فيمشي بيننا متنكراً ... فلا سرُّنا يفشو ولا هو يظهرُ (١)
فكان بمُنّى دون من كنت أتقي ... ثلاثُ شخوصٍ كاعبانِ ومُعصرُ (٢)

* * *

فلما أجزنا ساحةَ الحيّ قلن لي ... ألم تتق الأعداء والليلُ مقمرُ (٣)
فإن أهتد دائبْ الهوى سامراً ... أمالستحي أو زعوى أو تفكرُ (٤)

إذا جئت فامنع طرف عينيك غيرنا
لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظرُ (٥)

آخر عهدي بها حين أعرضت ... ولاح لها خدٌّ نقيٌّ ومحجرُ

(١) يفشو : يذيع (٢) المجن والجنة : الترس ـ والكاعب هي التي نهد ثديها ـ المعصر هي التي بلغت تمام الشباب ولم تدرك (٣) جاز الموضع وأجازه وجاوزه : مر فيه وخلفه (٤) السامر : الذي لا ينام ولا يبالي ما صنع ـ وأزعوى الرجل : حار عن غيه (٥) حرف أبو علي الفارسي هذا البيت فرواه هكذا :

وطرفك إما جئتنا فاحتفظ به ... كأنك تحسبنا الهوى حيث تنظر

ليتسع له أن يقول إن هواه أسفل وكيف تخالف الياء . فتعقبه ابن جني فقال : هذا لم يكن بل هي كلمة التعيير وهذا الكلام ، ونصب الفعل بها تشبيها بكي في المعنى وهذا بين بعد تخريجه يذكر بقول جميل :

وطرفك إما جئتنا فاحتفظ به ... فنبئ الهوى باد لمن يتبصر
وأعرض إذا لاقيت عيناً تخافها ... وظاهر بغيض إن ذلك أستر

وأجمع بحرف الكاف في النفي وسواه

سوى أنني قد قلت يا نعم قولةً لها والعِتاق الأرحبيات تُزجَر (١)
هنيئاً لأهل العامرية نشرها اللـ ـذيذ وريّاها التي أتذكر (٢)
فقمت إلى عَنْسٍ تخوّن نَيّها سُرى الليل حتى لحمها متحسّر (٣)
وحبسي على الحاجات حتى كأنها بقيّة لوح أو شِجار مؤشر (٤)

وماءٍ بموماةٍ قليلٍ أنيسُهُ
بسابس لم يحدث به الصيف محضر (٥)

به مُنبتَنّى للعنكبوت كأنه على طَرَف الارجاء خامٌ منشّر (٦)
وردت وما أدري أما بعد موردي من الليل أم ماقد مضى منه أكثر
فقمت إلى مغلاة أرض كأنها إذا التفتت مجنونة حين تنظر (٧)
تنازعني حرصاً على الماء رأسها ومن دون ما تهوى قليبٌ مُعوَّر (٨)

الارحبيات : نسبة الى أرحب وهو جبل أو قبيلة من همدان (٢) النشر رائحة الطيبة ومثله الريا (٣) العنس : الناقة الصلبة القوية . والنى : الشحم . والمتحسر الذى أضواه السير (٤) الشجار : خشبة يضبب بها السرير ، وعود يجعل فى فم الجدى لئلا يرضع . والمؤشر : المرقق ، وأشر الخشب بالمئشار شقه (٥) الموماة : الفلاة — والبسابس جمع بسبس وهو القفر الخالى (٦) الخام الجلد لم يدبغ ، أو لم يبالغ فى دبغه (٧) مغلاة : قاطعة (٨) القليب : البئر قبل الطى ، فاذا طويت فهى الطوى . والقليب فى الاصل التراب المقلوب . والقليب المعور : المطموس ، من قولهم : عور عين الركية اذا كبسها وأفسدها حتى نضب الماء . أو هو الممنوع ، من قولهم : عورته عن الماء اذا منعته

محاولة للماء لولا زمامها وجذبي لها كادت مراراً تكسّر
فلما رأيت الضر منها وأنني ببلدةِ أرض ليس فيها مُعصَّر (١)
قصرت لها من جانب الحوض منشأ
جديداً كقاب الشبر أو هو أصغر (٢)
إذا شرعت فيه فليس للتقى
مشافرها منه قِدَى الكف مِسْأَرُ (٣)
ولا دَلْو إلا القَعب كان رشاءهُ
إلى الماء نِسْعٌ والأديم المضفَّر (٤)
فسافت وما عافت وما ردّ شربها
عن الريّ مطروق من الماء أكدر (٥)

(١) المعصر : الملجأ والمنجاة (٢) القاب : المقدار (٣) قدى الكف وقيده بالكسر : قدره ــ والمسأر : الباقي . وأسأره : أبقاه ، من السؤر بضم فسكون وهو البقية والفضلة ، ويقال للمرأة التي جاوزت الشباب ولم يهرمها الكبر : ان فيها لسؤرة . قال حميد بن ثور :

إزاء معاش ما تحل إزارها من الكيس فيها سؤرة وهي قاعد

والمشافر جمع مشفر ، وهو للبعير كالشفة للانسان . وشرعت الناقة في الماء : وردته ، من الشريعة وهي مورد الشاربة

(٤) القعب : القدح الضخم ــ والرشاء : الحبل . والنسع بالكسر : سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ، والقطعة منه نسعة . والأديم : الجلد

(٥) سافت من السوف وهو الشم . يقال سافه واستافه اذا شمه